

الـثـلـاثـاء 13-07-2010

1046- المـلـامـجـعـيـ: شـهـرـ آـذـرـ

[ظـاهـرـةـ "ـالـتـنـاـمـ"ـ بـينـ الـبـشـرـ]

(فـروـضـ قـبـيلـ قـرـاءـةـ الـلـعـبـةـ)

نـصـ اللـعـبـةـ:

أـنـاـ مـعـاـكـ(ـيـ)ـ يـاـ فـلـانـ(ـةـ)ـ حـقـ لـوـ.....

أـنـاـ خـايـفـ(ـةـ)ـ أـكـونـ مـعـاـكـ(ـيـ)ـ يـاـ فـلـانـ(ـةـ)ـ حـقـ وـحـقـيقـىـ
لـخـسـنـ.....

كـنـتـ قـدـ وـعـتـ بـقـرـاءـةـ (ـشـرـحـ/ـتـفـسـيرـ)ـ الـاسـتـجـابـاتـ الـتـيـ
نـشـرـنـاـهـاـ لـلـمـشـارـكـينـ فـيـ هـذـهـ الـلـعـبـةـ مـنـ الـمـرـضـىـ وـالـمـعـالـجـينـ،ـ ثـمـ مـنـ
جـمـوعـةـ الـتـدـرـيـبـ،ـ ثـمـ مـنـ أـصـدـقاءـ الـمـوـقـعـ،ـ إـلـاـ أـنـيـ وـجـدـتـ صـعـوبـةـ
بـالـغـةـ (ـوـتـشـوـيـهـاـ مـحـتمـلاـ)ـ فـضـلـتـ التـأـجـيلـ إـلـىـ أـنـ آـنـاقـشـ قـضـيـةـ
قـبـلـيـةـ وـرـدـتـ إـلـىـ أـثـنـاءـ كـتـابـةـ الـمـسـوـدـةـ عـلـىـ الـوـجـهـ الـتـالـيـ:

الـكـتـابـةـ فـيـ مـوـضـوـعـ الـعـلـاقـاتـ الـبـشـرـيـةـ أـمـرـ بـالـغـ التـعـقـيدـ،ـ
مـقـارـنـةـ بـالـمـارـسـةـ الـفـعـلـ.

كـلـمـاـ حـضـرـتـ جـلـسـةـ مـنـ جـلـسـاتـ الـعـلـاجـ الجـمـعـيـ صـبـاحـ الـأـرـبـاعـ،ـ
فـيـ قـصـرـ الـعـيـنـ،ـ مـعـ نـاسـ بـعـضـهـمـ لـاـ يـقـرـأـ وـلـاـ يـكـتـبـ،ـ وـالـبـعـضـ الـآـخـرـ
يـكـادـ يـقـرـأـ،ـ وـرـبـعـاـ يـكـتبـ مـفـطـراـ،ـ أـقـولـ كـلـمـاـ حـضـرـتـ جـلـسـةـ وـاحـدةـ
(ـسـاعـةـ وـنـصـ إـلـاـ خـمـسـةـ)ـ وـصـلـتـنـيـ مـعـلـومـاتـ وـحـقـائـقـ عنـ الـعـلـاقـاتـ
الـبـشـرـيـةـ،ـ أـكـادـ أـجـزـمـ أـنـيـ عـاجـزـ عـنـ أـنـ أـقـلـبـهـاـ حـرـوفـاـ وـكـلـمـاتـ
وـجـلـ مـكـتـوبـةـ.

حاـولـتـ أـنـ أـسـجـلـ مـاـ يـجـرـىـ فـيـ كـلـمـاتـ،ـ وـسـجـلـتـ بـالـصـوتـ
وـالـصـورـةـ،ـ وـاقـتـطـفـتـ الـعـابـاـ وـسـيـكـوـدـرـاـمـاـ،ـ وـلـكـنـيـ أـعـرـفـ أـنـيـ غـيرـ
رـاضـعـنـ كـلـ أوـ أـغـلـبـ مـاـ قـدـمـتـ فـيـ هـذـهـ النـشـرـاتـ لـأـبـلـغـ مـاـ وـصـلـنـيـ
مـنـ خـبـرـتـيـ فـيـ هـذـاـ الـعـلـاجـ،ـ نـتـيـجـةـ لـمـعـوـبـةـ شـرـحـهـ بـالـأـلـفـاظـ،ـ

دـعـونـيـ أـقـتـطـفـ مـنـ حـوارـ بـاـكـرـ (ـمـنـذـ ثـلـاثـةـ سـنـواتـ)ـ مـعـ الـاـبـنـ
دـ.ـ كـرـيمـ مـحـمـدـ شـوـقـيـ عـجـزـ الـكـلـمـةـ عـنـ الـإـحـاطـةـ بـاـ يـجـرـىـ:

نشرـةـ :ـ 9-11-2007ـ:ـ حـوارـ بـرـيدـ الـجـمـعـةـ

د. كريم محمد شوقي:

يبدوا أن الواحد لازم يقفل على نفسه ويقعد يقرأ عشر سنين متواصلة عشان يعرف بجاريك أستاذى.

د. يحيى:

ليس هكذا تماما، (مش قوى كده)! أنا لو قرأت مليون صفحة لي يكن أن أصل إلـى ماوصلت إلـيه من خلال قراءة النفس البشرى لمريض واحد، متجادلا مع نفس البشرى الذاتى، كنت دائمـاً أتصـحـ طلبيـتـ تـدرـيـبـ أـفـولـ لهمـ إنـ رـحلـةـ سـنـواتـ معـ مـريـفـ فـصـامـيـ واحدـ سـوـفـ تـعـلـمـكـ كلـ الأمـراـفـ، وربـماـ كلـ البـشـرـ وكلـ الـحـيـاـةـ.

هـذاـ وـقدـ تـكـرـرـ ذـكـرـ تـعـبـيرـ "الـنـفـسـ الـبـشـرـىـ"ـ وـخـاصـةـ فـحـوارـاتـيـ معـ الـابـنـ دـ.ـ جـهـالـ التـرـكـىـ حـينـ عـرـتـ مـرـارـاـ عنـ أـنـ العـلاـجـ هوـ نـقـدـ الـنـفـسـ الـبـشـرـىــ (أـىـ إـعادـةـ تـشـكـيلـ)،ـ وـلـكـ بـعـشارـكـ النـفـسـ نـفـسـهـ،ـ (دـ.ـ جـهـالـ التـرـكـىـ نـشـرـةـ 2008/5/16)ـ.

صـعـوبـةـ الـكـتـابـةـ عـنـ عـمـقـ وـحـقـيقـةـ التـوـاـصـلـ تـجـلتـ أـكـثـرـ حينـ حـاوـلـتـ شـرـحـ دـيـوـانـ "أـغـوارـ النـفـسـ"ـ كـىـ أـوـصـلـ تـقـدـيمـ بـعـضـ "فـقـهـ الـعـلـاقـاتـ الـبـشـرـىـ"ـ كـلـ أـرـبـعـاءـ مـنـ حـوـالـ عـامـ،ـ وـقـدـ أـكـدـتـ عـلـىـ ذـلـكـ مـثـلـاـ فـيـ قـرـاءـتـيـ لـعـيـونـ تـشـكـيلـ "دـرـاكـيـولاـ"ـ نـشـرـةـ 2009/8/26ـ قـائـلـاـ:ـ (شـرـحاـ لـفـكـرـةـ نـقـدـ النـفـسـ الـبـشـرـىـ)ـ مـاـ يـلـيـ:

"منـذـ اـكـتـشـفـتـ أـنـ مـاـ أـمـارـسـهـ هـوـ نـوـعـ مـنـ النـقـدـ،ـ وـأـنـ مـطـمـئـنـ إـلـىـ مـاـ وـصـلـيـ،ـ رـبـماـ لـأـنـىـ أـمـارـسـ نـقـدـ النـفـسـ الـأـدـيـ مـنـ قـدـمـ،ـ وـلـكـنـ لـأـنـىـ أـعـرـفـ أـنـ النـقـدـ الـمـقـيـقـىـ هـوـ إـعادـةـ تـشـكـيلـ النـفـسـ،ـ فـقـدـ تـرـدـدـتـ طـوـيلـاـ قـبـلـ الـفـرـحةـ بـفـرـحـتـ بـاـكـتـشـافـ هـذـاـ المـصـلـحـ الـذـىـ يـعـرـ فـعـلـاـ عـنـ مـاـ أـمـارـسـهـ،ـ لـأـنـ الـمـرـيـفـ لـيـسـ جـهـالـ تـشـكـيلـ مـنـ نـاحـيـتـ أـسـاسـاـ،ـ أـوـ أـوـلـاـ.

روـيدـاـ روـيدـاـ،ـ وـأـنـاـ أـرـاجـعـ مـاـ أـفـعـلـهـ مـعـ مـرـضـائـ،ـ خـاصـةـ فـيـ الـعـلـاجـ الـجـمـعـيـ،ـ اـكـتـشـفـتـ أـنـ نـقـدـ النـفـسـ الـبـشـرـىـ (ـالـمـرـيـفـ)ـ يـخـتـلـفـ عـنـ نـقـدـ النـفـسـ الـأـدـيـ فـيـ أـنـ الـمـرـيـفـ نـفـسـهـ يـشـارـكـ فـيـ عـمـلـيـةـ النـقـدـ،ـ وـأـنـ الـطـبـيـبـ نـفـسـهـ هـوـ نـفـسـ بـشـرـىـ آخـرـ،ـ وـبـالـتـالـىـ فـلـاـ بـدـ أـنـ يـكـوـنـ عـرـضـةـ لـلـنـقـدـ مـنـ الـطـرـفـيـنـ طـوـلـ الـوقـتـ.

بـهـذـاـ عـدـتـ لـلـتـصـالـخـ مـعـ الـمـصـلـحـ الـجـدـيدـ،ـ وـتـعـنـيـتـ أـنـ أـضـيفـ كـلـمـةـ وـاحـدةـ لـهـ هـىـ "ـمـعاـ"ـ،ـ أـىـ نـقـدـ النـفـسـ الـبـشـرـىـ مـعاـ"ـ،ـ وـمـنـ ثـمـ فـيـإـعادـةـ التـشـكـيلـ هـىـ وـارـدـةـ لـكـلـيـ النـظـنـينـ طـوـلـ الـوقـتـ".

سـأـلـتـ نـفـسـيـ وـأـنـاـ أـوـاصـلـ كـتـابـةـ شـرـحـ مـنـ دـيـوـانـ "ـأـغـوارـ النـفـسـ"ـ:ـ لـمـاـذـاـ أـجـدـ هـذـهـ الـعـمـلـيـةـ ثـقـيـلـةـ وـأـحـيـاناـ سـخـيـفـةـ وـمـشـوـهـةـ لـلـنـفـسـ الـشـعـرـىـ،ـ فـيـ حـينـ أـنـهـ لـمـ تـكـنـ كـذـلـكـ وـأـنـاـ أـخـبـهـاـ شـعـرـأـ؟ـ فـإـذـاـ فـيـ اـكـتـشـافـ الـيـوـمـ فـجـأـةـ،ـ أـنـ الـعـلـاجـ الـجـمـعـيـ لـيـسـ إـلـاـ "ـذـلـكـ الشـعـرـ الـآخـرـ"ـ.

الـشـعـرـ أـرـقـىـ أـنـوـاعـ الـكـتـابـةـ،ـ لـأـنـهـ يـخـلـقـ الـلـغـةـ وـهـوـ يـسـتـعـمـلـهـاـ وـلـاـ يـجـبـسـ الـوـاقـعـ (ـالـحـقـائـقـ)ـ دـاـخـلـ رـمـوزـهـاـ،ـ وـثـةـ كـتـابـةـ لـيـسـ شـعـرـاـ هـىـ الـشـعـرـ نـفـسـهـ.

حين عشت الخبرة التي أفرزت ديوان "أغوار النفس" قلت وأنا اعتذر للعربية الفصحى.

"أصل المدوته المزادى كان كلها حس، والحس طلع لي بالعامى بالبلدى الحلو، والقلم استعجل مالحقش يترجم لتفوته أيها همسة أو لمسة أو فتفوته حس".

وهكذا كتبت المتن الشعري بالعامية فاحتوى التجربة،

ثم حين تجاسرت وكتبت شرحا على هذا المتن منذ حوالي سنة، كل أربعاء، في محاولة أن أقدم ما وصلني في هذه التجربة بطريقـة تساعـد من يمارـس العلاـج النفـسي عـلى فـهم عـمق الـعـلاقـات بيـنـنا وهـى تـكـشـف عـن مـا أـسـبـيـتـه "فقـه الـعـلـاقـات البـشـرـيـة" لمـآفـجـح (تقـرـيبـا) ورـبـما شـوـهـتـ المـتنـ (لـستـ مـتـأـكـدا)،

إذن فالـشـعـر هو الأـقـدر عـلـى اـسـتـيـعـابـ هـذـهـ الـخـبـرـاتـ الـمـكـثـفـةـ الـمـتـاخـلـةـ عـبـرـ اللـغـةـ وـلـيـسـ فـقـطـ بـالـلـغـةـ/ـالـكـلـامـ،ـ

وـهـذـاـ الـذـىـ جـرـىـ فـيـ العـلـاجـ الجـمـعـىـ هوـ حـوـارـ وـعـىـ بـشـرـىـ،ـ بلـ مـسـتـوـيـاتـ وـعـىـ مـتـعـدـدـةـ مـعـ مـسـتـوـيـاتـ وـعـىـ أـخـرـىـ،ـ وـلـيـسـ جـرـدـ نـقـاشـ بـالـكـلـمـاتـ،ـ وـلـاـ تـفـرـغـ بـالـلـفـاظـ.

هـنـاـ نـقـفـ لـنـتـسـائـلـ:ـ كـيـفـ يـكـونـ الـعـلـاجـ الجـمـعـىـ شـعـراـ،ـ وـأـيـضاـ نـقـدـ شـعـرـياـ تـقـرـيبـاـ؟ـ

دعـونـ اـسـتـعـمـلـ تـعـبـيرـ "ـفـعـلـ الشـعـرـ"ـ بـدـلـاـ مـنـ الشـعـرـ،ـ لأنـيـ أـرـىـ أنـ الشـعـرـ بـالـذـاتـ يـؤـكـدـ عـلـىـ وـظـيـفـةـ أـخـرـىـ لـلـغـةـ هـىـ "ـالـتـمـثـيلـ"ـ Representationـ وـلـيـسـ فـقـطـ "ـالـتـواـصـلـ"ـ،ـ

هـذـاـ التـمـثـيلـ إـذـاـ تـحـركـ بـطـلـاقـةـ الـإـبـدـاعـ يـصـبـحـ تـشـكـيلاـ جـديـداـ جـميـيـ اللـغـةـ:ـ فـهـوـ الشـعـرـ.

لـكـنـ ثـمـ تـشـويـهـ قـدـ يـلـحـقـ تـفـسـيرـ ماـ جـرـىـ مـنـ حـرـكـيـةـ وـعـىـ الـشـارـكـينـ إـذـاـ حـاـولـنـاـ شـرـحـهـ بـكـتـابـةـ مـرـسـلـةـ.

البداية:

بـدـاـيـةـ سـلـسـلـةـ الـفـروـضـ الـتـىـ حـضـرـتـنـىـ هـىـ أـنـ:ـ الـعـلـاجـ الجـمـعـىـ هـوـ فـعـلـ الشـعـرـ.

فـمـاـ هـوـ الشـعـرـ الـذـىـ أـعـنـيهـ وـمـاـ هـوـ فـعـلـ الشـعـرـ؟ـ

ماـزـلـتـ أـذـكـرـ مـقـدـمةـ لـصـلـاحـ عبدـ الصـبـورـ،ـ تـسـاءـلـ فـيـهاـ عـنـ الشـعـرـ هـلـ هـوـ "ـحـالـةـ أـمـ حـلـلـيـةـ أـمـ أـسـلـوبـ"ـ،ـ وـأـذـكـرـ أـنـهـ اـنـتـهـىـ إـلـىـ أـنـهـ "ـحـالـةـ"ـ،ـ وـقـدـ فـهـمـتـ الـآنـ مـاـذـاـ كـانـ يـقـصـدـ صـلـاحـ بـكـلـمـةـ "ـحـالـةـ"ـ

خـنـ نـبـدـأـ جـلـسـةـ الـعـلـاجـ الجـمـعـىـ بـسـؤـالـ "ـمـنـ الـلـىـ عـايـزـ يـشـتـغلـ؟ـ"ـ وـ فـيـ الـبـدـاـيـةـ يـفـهـمـ أـغـلـبـ الـمـشـارـكـينـ إـنـ لـمـ يـكـونـواـ كـلـهـمـ أـنـ السـؤـالـ مـرـادـفـ لـ "ـمـنـ الـلـىـ عـايـزـ يـتـكـلـمـ"ـ،ـ وـعـادـةـ نـبـهـ إـلـىـ رـفـضـ هـذـاـ التـرـادـفـ،ـ وـخـاـولـ أـنـ خـمـدـ الـأـمـورـ مـنـذـ الـبـدـاـيـةـ وـخـنـ نـؤـكـدـ الـفـرـقـ بـيـنـ "ـالـشـغـلـ"ـ وـ "ـالـكـلـامـ"ـ،ـ وـالـذـىـ

يساعدنا تماماً في ذلك هو الالتزام بقاعدة "هنا - الآن & أنا وانت" (أنا وانت & هنا دلوقتي)، وبالتالي يصبح الكلام هو مجرد وسيلة لتحريرك "الشغل"

وهكذا نعيش في حالة "معاً": وعي مقابل وعي ووعي وعي "معاً" (انظر نص اللعبة)

- إذا كان الشعر حالة كما يقول عبد الصبور فالعلاج الجماعي حالة .

وإذا كان الشعر تحريراً لغويًا جديداً قادراً على إبلاغ رسالة التواصل والإنجاز، فإن العلاج، وهو ما هيته "نقد النص البشري"، وأضفت إليه الآن عناسبة الحديث عن العلاج الجماعي: "معاً" هو "ذلك الشعري الآخر": ممارسة حية بأكثر من الألفاظ .

وبعد

اضطربت أن أرجع لمفاهيم نقدية أساسية لعلها تساعدن على فهم العلاج الجماعي شرعاً، من منطلق كيف أنه قصيدة جماعية تتشكل معنا معاً ،

رجعت إلى قضية في النقد الأدبي اضطربت لإعادة قراءتها بمناسبة رواية جيدة للمصيق د. ذكي سالم (حكيم) نشرت لمحات عنها في بريد الجمعة الماضي ، هذه القضية النقدية هي آلية التنافر، وفوجئت بهذه التسلسلات تسرى فروضاً لتفسير ما يجري في العلاج الجماعي هكذا:

الفروض:

أولاً: الكيان الإنساني نص بشري سواء كان مريضاً أو معاذلاً .

ثانياً: العلاج عامة والعلاج النفسي خاصة يبدأ بقراءة هذا النص قراءة إبداعية للتعرف على ماهيته أولاً.

ثالثاً: العلاج هو إعادة تشكيل هذا النص بمشاركة النص نفسه، هذا بالنسبة للمعالج ناقداً نصاً وللمريض نصاً فناقداً (في العلاج الفردي) .

رابعاً: العلاج الجماعي هو قراءة لإعادة تشكيل عدد من النصوص معاً.

خامساً: يبدأ إعادة التشكيل بتعتنق النصوص المجتمعة معاً ليكون منها "الوعي الجماعي الفلام".

سادساً: حرکية النصوص معاً، تتفاعل في حيوية المواجهة ، وهذا هو ما يقابل الظاهرة النقدية التي تسمى "التنافر".

سابعاً: وعلى ذلك: العلاج كعملية قراءة فنقد (إعادة تشكيل النص البشري) تقابل عملية التنافر في النقد الأدبي.

و بـعـد

أعلم أن هذا الفرض لن يلقى قبولاً لا من الأطباء النفسيين ولا من النقاد، لكن دعوني أغرف أنني لم أجد مدخلاً لتقديم ما جرى في تلاقي هذه النصوص البشرية هكذا أقرب إلى تقديم ما أريد إلا هذه الظاهرة المسمى "التناس" تمهيداً لما يأتي بعد:

دعوني أكتفى الآن بتقديم بعض ملامح هذه الظاهرة "التناس"، وهي التي سوف أتناولها في حلقة قادمة وبالذات من خلال قراءة "جدارية محمود درويش" ربما يساعدنا ذلك في توضيح أهمية هذا القياس مقارنة بما جرى في العلاج الجماعي:

1- أوضح الدكتور محمد بنيس أن الشعرية العربية القدية قد فطنت لعلاقة النص بغيره من النصوص منذ الجاهلية وضرب مثلاً للمقدمة الطلبية ، والتي تعكس "قراءة أولية لعلاقة النصوص ببعضها وللتداخل النصي بينها"

- أليس هذا هو ما جرى بين "النصوص البشرية" في العلاج الجماعي؟

2- التناس هو: "اعتماد نص من النصوص على غيره من النصوص النثرية أو الشعرية القدية أو المعاصرة الشفاهية أو الكتابية العربية أو الأجنبية وجود صيغة من الصيغ العلاقاتية والبنيوية والتركمانية والتشكيلية والأسلوبية بين النصين".

- أليس هذا هو ما يقابل أيضاً تفاعلات وحوارات مستويات الوعي بين المشاركين في العلاج الجماعي؟

3- "اللحظة" تتصل على الرغم من تفردها بتيار من اللحظات الفردية المتراكمة الأخرى ، وهذا ما يسوق بـتناس النصوص فالنص ابن النص، فكل نص هو إناء يجوي بشكل أو بأخر أداء نصوص أخرى.

- أليس هذا هو ما يحدث في العلاج الجماعي بعد التعادة ، فالشغل ، فالواجهة ، أملأ في ولاف متجدد؟

4- (التناس) يتبيّح وقفـة تـأـمـلـيـة بـيـن دـلـالـتـيـن مـخـلـفـتـيـن تـحـدـان مـعـاً فـي نـص وـاحـد جـدـيد مـثـيـر دـلـالـات أـخـرى تـحـمـل أـكـثـر مـن بـصـمة وـأـكـثـر مـن بـعـد . ويـسـتـقـيـ الشـاعـر التـنـاس مـصـادـر مـتـبـاـيـنـة .

- أليس هذا هو ما يقابل إعادة تشكيل الفرد (النص البشري) في العلاج الجماعي من خلال تجمع بصمات وعي الأفراد ، (نصوص وحدات الجماعة معاً !!)

.....

.....

وإلى الحلقة القادمة مع العلاج الجماعي و"جدارية محمود درويش" أرجو أن تقبلوا اعتذاري .